

الشخصية في رواية "صوت الكهف" لعبد الملك مرتاض

إن رواية "صوت الكهف" رواية جزائرية استطاعت بحق أن تجعل الكثير من النقاد يلتفتون إليها، لأنها وفقت في توظيف تقنيات الرواية الجديدة، سنقف عند جمالية الشخصية في هذه الرواية، وربما سمحت لنا فرصة أخرى بالوقوف عند مكونات البنية السردية الأخرى فيها.

لعل من نافذة القول أن نشير إلى أن الرواية الجديدة تعتمد على تدمير تلك الشخصية الروائية التقليدية، وتطرح بديلاً لها. فننتالي ساروت، وهي من مؤسسي الرواية الجديدة، تؤكد في كتابها "عصر الشك" أن الشخصية فقدت شيئاً فشيئاً كل ما يعينها كتشكيل أجدادها، وبيتها المبني بعناية والمتنوع بالأشياء المختلفة، من قبو البيت مروراً بأدوات الزينة إلى كل ما يملكه هذا البيت.. فقدت ذلك الشيء الثمين الذي تتميز به وهو اسمها. فالشخص كالتكوينات التشكيلية تناهت..

لقد كانت الشخصية في هذه الرواية عنصراً مهماً من عناصر البنية السردية، فقد تم الإعلان عن انتهاء تلك الفرضيات حيث الشخصية نمطية، وطرح بديل لها حيث تلاعب المؤلف بالضمائر لطمس معالم الشخصية وبذلك يضمن للقارئ المشاركة في إبداع النص وبنائه. يقول في (ص 11) وأنت تتبخرين عبر الزمان السحيق.

بألف اسم وألف وجه بألف حركة وألف تاريخ. وأنت حاضرة في كل ربوة. وأنت جائمة في كل هضبة. وأنتم عنها تبحثون. وأصواتكم تتعالى تهز سقف السماء الرحاب. تمزق آفاق الأرض. تملأ الفضاء ضجيجاً وعجيجاً. كلكم يتساءل: أين حدهم؟ فقط أين الصوت الذي يدلنا عليها؟ فقط أين الطريق الذي نسلكه إليها؟ حدهم.. فهل ضاعت منا إلى الأبد؟ فهل اغتصبوا؟ يا ويلتنا كلهم يريد أن يعرفك وهو أنت. وكلهم يريد أن يسمع صوتك وهو مسمعك. وأنت هم فهل تدرين ويدرون؟